دور المثقف العربي في المشاريع الجديدة

● من الاتهامات التي توجه إلى المثقف العربي ولا تزال، أنه ابتعد عن دوره الرائد، ومهمته التنويرية التي هي بمثابة الضوء الساطع لحركة المجتمع، وتفاعله في قضايا الفكر والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والدفاع عنها باستماتة وحيوية، باعتبارها حجر الزاوية في انطلاقة حضارية إنسانية وتعددية ثقافية، بحيث تلامس احتياجات المجتمع وغاياته في توازن وتناغم، بما يسهم في بناء ثقافة واعية وناجزة لمهام المثقف وتطلعاته ، بعيداً عن اجترار المفاهيم والمصطلحات الرائجة لتحديد دور المثقف ومهامه في هذا العصر.

وقد طرحت في المقالة السابقة وضعية المثقف في النصف الأول من القرن الماضي، وكيف قام بأدوار عظيمة وطنية وقومية، كحامل لمشعل الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطني عن سلطة الأجنبي وهيمنته.

وسنناقش في هذه المقالة التراجع الغريب للمثقف العربي عن دوره المنوط به وماهية أسباب هذا التراجع ودوافعه.

عبدالله العليان

● في النصف الثاني من القرن الماضي تراجعت الحريات السياسية في عالمنا العربي بشكل ملحوظ، ورافقها كمحصلة تالية تراجع في مستويات عديدة في الثقافة والفكر والنهوض الحضاري، وما تليها من أزمات وكوارث وتراجعات، من هنا اضمحل دور المثقف العربي وانكمش دوره وفاعليته في المجتمع، ويسري هذا التراجع على أدوار المثقفين جميعاً بتياراتهم المختلفة، لكننا نلاحظ بحق أن فترة الستينات على الرغم من تراجع الحريات العامة في المجتمعات العربية إلا أن المثقف العربي لم يتنازل عن قضايا أمته في مكتسباتها الأساسية، لم يرض بالخنوع للظروف الراهنة وأزماتها كالهزيمة والهجمة الاستعمارية لضرب مقومات الأمة الحضارية في جوانب عديدة.

وبعد عدة عقود بدأ المثقف العربي يتراجع أو على الأصح ينسحب من الساحة كمؤثر وفاعل تاركاً الأمر للسياسي وأنصاف المثقفين الحاملين للمباخر وأبواق النفاق والتزلف يتصدرون مواقع الثقافة ومؤسساتها.

وانعزل البعض من المثقفين الشرفاء عن الساحة، واختفى بعضهم، وهاجر البعض الآخر مبتعداً عن موقعه وتأثيره وتنويره في مجتمعه.

هذا التراجع والتقهقر والانزواء للمثقف العربي - بالإضافة إلى ما سبق ذكره في هذا الصدد مثل الحكم الشمولي - وما تبعه من تراجع في قضايا الحريات، فإن المثقف العربي انكفى يتغنى بالحرية والأمجاد الماضية، واتخذها شعاراً سياسياً مبتوراً عن الواقع المجتمعي، وتدافعاته، وانفعالاته اليومية، وجسّدها في قصائد ومقالات صحفية وندوات استعراضية للبيان الحماسي، وهذه الشعارات لم يتم تجسيدها في مضامين واقعية، ولم تتطرق إلا إلى القضايا الهامشية، وابتعدت عن هموم الأمة وشجونها كالحرية والديمقراطية والتنمية الثقافية الحقة.

من هنا عجزت الثقافة العربية - من خلال المثقف العربي - عن القيام بدور فاعل ومؤثر في الساحة الثقافية والسياسية عدا دور التابع أقرب إلى المثقف "المبرمج" آلياً في استتباعه للسياسي السلطوي والقمعي.

والمعضلة في هذه الإشكالية كما يراها البعض تكمن في العقل العربي. فهذا العقل الذي عاد إلى التنامي حديثا، بعد عصور من الانحطاط ما زال يعتبر أن الثقافة أمر ثانوي. وأن المثقف كائن هامشي.

فالوجه الاجتماعي والفكري لممارسة الحرية لا يزال يعاني الكثير من اشكالات فهم المبدأ، أو القدرة على تطبيقه ناضجاً وسليما، والمثل البارز على هذه المسألة الشائكة هو واقع الكتاب في دنيا العرب حيث لا يزال الكتاب يخيف الرقابة في الدول العربية إلى اليوم!

وهذه من المحن التي يعاني منها العقل العربي، وانعكست على وضعية الثقافة والمثقف بما يشبه الانتكاسة في ديناميكية الثقافة وتفاعلها في المجتمع. ولا يمكن تبرئة المثقف العربي من هذا الوضع الذي آل إليه. فقد انجرف بعض هؤلاء المثقفين كما يقول برهان غليون إلى هذا المربع السلبي بالاختيار وليس جبراً، وأسهموا في مباركة الديكتاتورية وقمعها، و على وأد الحرية وغاياتها، فكانت وبالاً عليهم هم أيضاً في النهاية، وذاقوا من بطش من صفقوا لهم يوماً، وباركوا خطواتهم القمعية بالتهليل والتصفيق والتنظير للفكر الشمولي، والثقافة الاستهلاكية.

ونجحت السلطة السياسية في تحجيم المثقف، وتدجينه وتقليص دوره المؤثر والناقد للأوضاع والقضايا الراهنة، حيث استطاعت أن تسلب منه نزعة النقد الجدي للأوضاع والسياسات القائمة، وحولته إلى إنسان صامت، وساكن، ومهادن بطريقة لافتة.

إن جيل المثقفين السابق كما يقول، برهان غليون يلهي نفسه ويغطي على هذه المذبحة الفعلية للمثقفين كفاعل تاريخي وسياسي في الحياة الاجتماعية، بالصراعات الداخلية، وكيل التهم المتبادلة وتعقب الآخرين للكشف عن مثالبهم وعيوبهم واحتمال خيانتهم وخضوعهم للسلطة، يميل جيل المثقفين الجديد الذي عاين هذه المذبحة وعايشها إلى الخروج من حلقة الإحباط وتشويه الصورة الذاتية عن طريق الانكفاء على البحث العلمي والتوظيف في النشاطات المعرفية. وهكذا حلت محل الأدبيات العقائدية التي كانت تسيطر على إنتاج المثقفين المقالات التحليلية الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية. وحل الباحث محل المثقف الداعية أو المصلح أو الطليعي، وفقدت لهجة التعبئة والتبشير العقائدي التي سادت في الماضي الكثير من وهجها، بل صار استخدامها دليل التخلف والتثبت المرضي على مواقف لم يعد لها أي مبرر. لقد فقد المثقف العربي تماماً إيمانه بنفسه ودوره الاجتماعي ولم يعد يرى أي مخرج أو جدوى من الانخراط في العمل السياسي أو التنافس عليه. لقد سلم تماماً بالأمر واعتقد أن الخلاص الحقيقي له وللمجتمع يكمن في تطوير البحث العلمي والدراسة التقنية.

أما الرأي العام فلم يعد يرى في المثقفين أي قوة فاعلة أو قادرة على الفعل. وفي معظم المجتمعات العربية تحتل الأولويات السياسية إن لم تكن الأمنية جميع المساحة التي يمكن أن تمارسها السلطات الاجتماعية على تنوعها. وتميل السلطة العليا إلى أن تذيب في حجرها جميع السلطات الأخرى. وتجعل من نفسها المرجعية الأولى والوحيدة في العلم والفن والثقافة والاقتصاد والسياسة معاً، وبالتالي تلغي أي حركة اجتماعية خاصة أو مستقلة عن الحركية السياسية التابعة للدولة. وفي هذه الحالة يبقى الاستهلاك وتوسيع دائرته وتعميق مفهومه هو الميدان الوحيد للتحقق الذاتي والتنافس والمباراة بين الأفراد . وفي هذا التنافس لا يبقى للمثقف ولا للثقافة أي حظ في جذب الانتباه أو الاستثمارات المعنوية والمادية الجديدة. ان المثقف في عالم فقدت الثقافة فيه أي وزن اجتماعي وانحلت فيه السلطة الثقافية أو كادت، يصبح صاحب بضاعة كاسدة لا قيمة لها ولا مكان . والشعور الغالب على المثقفين الذين استمروا يعيشون على السلطة الثقافية ويتمسكون باستقلالهم وحريتهم هو شعور اليتيم الكامل. فهم لم يفقدوا أبوة الدولة وحسب بل يكادون يفقدون اعتراف المجتمع والرأي العام واحتضانه لهم أيضا . ولذلك فإن بعض المثقفين الذين فضلوا الابتعاد عن الساحة تماماً اعتقدوا أن هذا الابتعاد عن هذين المسارين قد يكون حلا وسطا، يجنبهم إشكاليات المغامرة او التبعية، لكن هذا التصور في اعتقادنا لا يقل خطورة عن ذينك المربعين، فالهروب من التحديات التي تواجهه له اسقاطات خطيرة ومساوئ كبيرة على مجمل الأوضاع الثقافية والسياسية في المجتمع العربي.

فأحلام الحرية والديمقراطية والنهوض الاجتماعي والتقدم التي ناضل من اجلها أسلافه منذ النصف الأول من القرن سوف تتلاشى وتتساقط، والأدوار التي لعبوها في مجابهة التخلف والاستبداد وبناء المجتمع السليم سوف تنهار.

ولا وجه للمقارنة إذا ما تصور البعض من المثقفين ان هذا النوع من الهروب ومنه الهجرة والانزواء إذا ما تم قياسه على الحريق الذي يصيب قرية ما مثلا. وهذا الحريق سوف يخمد في النهاية ويعود الناس الى قريتهم ومنهم النخب المثقفة، ويزاولون أعمالهم المعتادة بعد ذلك .... هذه الأقيسة للوضع الثقافي المتردي والازمة الراهنة بقضية الحريق الطارئ هو كما يقول علماء الأصول قياس مع الفارق، ولا يمكن أن تقاس أزمة المثقفين ومشكلاتهم في القمع والتفتيت والتسلط أو التبعية والتزلف والمحاباة مع ظرف معتاد ومألوف من سنن الله في الحياة ونواميسها، وهنا تكمن الأوهام التي يعيشها المثقف العربي، وهذه الأوهام التي أقولها قد لا تتقاطر مع كل ما قاله علي حرب في انتقاده للمثقفين العرب خاصة ما قاله في كتابه (نقد المثقف)، لكنني أعني بالأوهام المفتعلة التي تطرح تقديرات غير صحيحة لإشكاليات قائمة، ويتم تصديقها بعد ذلك، مع علمه أن هذه التقديرات خاطئة أو واهمة.

لكن تظل مخاطر التبدلات في عقيدة المثقف العربي ومبادئه المرتكزة على الثوابت قضية تحتاج إلى مناقشة أكثر عقلانية من تعميم الاتهامات وإيجاد نزعة تشاؤمية من مراجعة المثقف العربي لمواقفه وآرائه وأدواره، ذلك أن هناك مواقف متباينة في دور المثقف، أفرزتها أيديولوجيات الفلسفات الفكرية الحديثة، ومن هذه النماذج مثقف أجهزة الدولة الذي ابتدعه نموذج الاتحاد السوفيتي في فترة المد الاشتراكي، وسارت عليه كل الدول التي تسيطر على أجهزة الثقافة والإعلام عدا استثناءات بسيطة، ويشير إلى هذا الرأي الباحث محمد كامل الخطيب الذي يعتقد أن هجاء المثقفين واضطهادهم يأتي لطبيعة الثقافة وتأثيرها في المجتمعات، فالمثقف يرى أن "الثقافة قوة" بينما يرى السياسي أن "القوة ثقافة" وهنا يتدخل الجيش ليبرز للإثنين - المثقف والسياسي - من هي القوة الحقيقية، يرتاح السياسي لسكون الأوضاع وهدوئها أما المثقف فيرتاح للتغيير والحركة. يرى السياسي أن لكل نضال نهاية، وهذه النهاية هي تحقيق برنامجه، بينما يرى المثقف أن لا نهاية للعمل طالما الحياة مستمرة، وتتجدد بتجدد مشكلاتها وأسئلتها . أليس من الأجدى والاهم أن يضطلع المثقف العربي بدور ريادي في خضم المشروعات المطروحة الآن وبقوة على عالمنا العربي كمشروع الشرق الأوسط الكبير ودعوات الإصلاح وغيرها من المشروعات؟ أم أن المثقف استكان لوضعه ودوره المحدود في الساحة، وترك الأمر للسياسي يتعامل مع قضايا المثقف الأساسية التي وضعت ضمن بنود المشروع الجديد كالهوية والثقافة والحرية والتربية وغيرها . المرحلة المقبلة ستوضح ما إذا كان المثقف انتهى بالفعل أم انه ينتظر الملامح الأساسية للاصطلاح القادم.

*** كاتب عربي**

حمار المليونيرة

حسين جمال البكري

●،، قبل سنوات تم عرض فيلم مغربي يحكي قصة مليونيرة نرويجية احبت حماراً مغربياً أي (عربياً) وأنها قد اعجبت بذكائه! متى كانت الحمير ذكية!! ما علينا..

وتقول قصة الفيلم أن المليونيرة الأوروبية قد اشترته من صاحبه (ميلود) وسافرت به إلى بلادها بدون مشاكل في المطارات ولا التأشيرات ولا... لكن الحمار يشده الحنين إلى وطنه، فيهرب ويختفي وتجتهد الشقراء النرويجية في البحث عنه دون فائدة!!

● تلك كانت قصة الفيلم وقد شارك في التمثيل نخبة من الممثلين العرب (المغاربة) إضافة إلى ممثلين من النرويج.

والفيلم يطرح جملة مشاكل إنسانية واجتماعية واقتصادية، ومشاكل السفر والهجرة عند العرب وبأسلوب ساخر مثير وقد قام بإخراجه (إدريس شويكة) وهو مغربي والفيلم جريء في طريقة عرضه للفكرة التي عولجت بأسلوب جديد متعمداً الخروج عن المألوف.

● ولكن يا ترى لماذا اختير الحمار بالذات بطلاً للعمل السينمائي وماذا نفهم.. ولماذا الشعور بالدينونة إلى حد الهامشية المذل؟!.. ومهما كانت الظروف قاسية يظهر السؤال المباشر الآن: أما حان الوقت لأعمال ومواقف تثير فينا مشاعر ماضينا المضيء العظيم بل وتعلمنا كيف نمضي نحو أمجادنا صفاً عربياً واحداً على دروب الوحدة اليمنية المثل الأعلى للمحبة والسلام والرخاء لجميع بلاد العرب.

الناعقون

عبد الله علي النويرة

● إن النجاح الذي تحققه القيادة السياسية بكل هدوء واقتدار وبعيداً عن الانفعال،هذا النجاح يسبب الجنون للكثير من أصحاب النفوس المريضة الذين يتصرفون بشكل متخبط يدل على الفشل الذي يشعرون به وهذا يؤدي بهم إلى أن يتصرفوا بأسلوب يدل على أنهم صدموا بهذا النجاح وتكون ردود فعلهم فاضحة لهم ودالة على ضياعهم.

إن المراهنين على فشل السياسة التي تنتهجها قيادتنا الحكيمة يصابون بالصدمة تلو الأخرى ويكادون يفقدون صوابهم لأن رهانهم كان فاشلاً واعتقادهم كان خاطئاً ولذلك نجدهم يبحثون عن شماعات يعلقون عليها فشلهم هذا ويتعلقون بأي قشة لكي يقنعوا أنفسهم بأنهم على صواب وأن رهانهم كان ناجحا.

إن مشاركة الأخ القائد الرمز الرئيس علي عبد الله صالح في قمة الدول الصناعية الثماني ... كان القشة التي قصمت ظهر هؤلاء وبدلا من أن يفرحوا للوطن بما سيعود عليه من فائدة نتيجة لهذه المشاركة باعتبار أن هذا المؤتمر هو اكبر مؤتمر عالمي على الإطلاق كونه يجمع اكبر ثمان دول في العالم وباعتبار أن ما يقرره المشاركون لا يمكن أن يتمكن أحد في العالم من رفضه أو تغييره،هذه المشاركة تعتبر تكريماً لكل مواطن يمني قبل أن تكون تكريماً للقيادة السياسية التي استطاعت وبكل اقتدار أن تصارع الأمواج العاتية المحيطة بالوطن وتمكنت من الخروج من الصراع العالمي بأقل الخسائر بل بأرباح لم يكن بالإمكان الفوز بها لولا القدرة القيادية التي وهبها الله لقيادتنا السياسية ومع ذلك فقد حاول الناعقون أن يلووا عنق الحقيقة ويصوروا للناس أن هذه المشاركة لا قيمة لها وأنها تدل على الارتماء في أحضان العم سام.

إن هؤلاء الناعقين يحاولون السباحة بعكس التيار وهم قد فشلوا في إقناع أنفسهم بأفكارهم المريضة فما بالك بإقناع الآخرين ذلك أن الناس أصبحوا يمتلكون قدرات على فهم ما يدور حولهم ولم يعد بمقدور أصحاب المنابر الخاوية أن يؤثروا على أحد من الناس فقد مضى الزمن الذي كان يتم فيه قيادة الجماهير عبر الدعاية الكاذبة والعبارات المطاطية ذلك أن وعي الجماهير الآن اصبح اكبر من وعي أولئك الذين يعيشون بعقلية ستينات وسبعينات القرن الماضي وأصبحت الجماهير تدرك وتعي ما يدور حولها من خلال اطلاعها على حقائق الأمور بدون السماح للمرضى والموتورين بأن يؤثروا عليها.

لقد جاءت مشاركة الأخ الرئيس القائد في ذلك المؤتمر(العالمي الذي يحلم الكبار بالمشاركة فيه) جاءت هذه المشاركة تتويجا لعمل دؤوب ومتواصل حتى تمكنت القيادة السياسية من أن تضع قدمها جنبا إلى جانب مع الدول ذات المصداقية التي تحظى باحترام المجتمع العالمي بكل أطيافه وهذه المنزلة التي حظيت بها بلادنا بفضل الله ثم بفضل هذه الجهود التي بذلها الأخ الرئيس ونجح فيها نجاحا شهد له به العدو قبل الصديق هذا النجاح هو الذي أهّل اليمن لكي يتبوأ هذه المنزلة العالمية في المجتمع الدولي وجعل اسم اليمن يتردد عالياً في المحافل الدولية وأصبح علما معروفاً في وسائل الإعلام المختلفة التي ما كانت تذكر اسم اليمن إلا مقترنا بالحروب والقتل والدمار .

يا هؤلاء أليس هناك ما يردعكم ويردكم إلى جادة الصواب ؟ وإلى متى ستظلون ضد الوطن ومصالحه .. إلى متى ستبقون معول هدم في جدار الوطن الذي يحتويكم؟

إلى متى ستكون مصالحكم الخاصة مقدمة على مصالح وطنكم؟

إلى متى ستبقون عملاء للشيطان؟

إلى متى ستبقون ناعقين ضد هذا الوطن المعطاء؟

لا نقول سوى هدانا الله وإياكم إلى طريق الحق والصواب وحفظ الله وطننا الحبيب من كل مكروه...

المناصب الادارية!!

م.سامي عبدالله الغابري

● من أهم القضايا التي تتناولها الفئات الاجتماعية المختلفة في بلادنا، هي وصول غير المؤهلين والمستحقين ودون العمر المناسب إلى المناصب الإدارية المختلفة، وغالباً مايكون على حساب غيرهم من الكوادر المؤهلة.

ولكي نتصف بالموضوعية في مثل هذا الطرح، لايجب أن ننجرف وراء أغراض ونوايا المروّجين لمثل هذه القضايا، أي أن نعتمد الأسلوب والأساس العلمي في الطرح والنقد وهو الأسلوب الوحيد والحكم المحايد بين جميع وجهات النظر المختلفة.

لكل درجة من الدرجات الوظيفية الحكومية أو منصب من المناصب الادارية أهميته وخصوصيته ومواصفاته الاجرائية، التي يتم على أساسها اختيار الشخص المناسب المؤهل تأهيلاً كاملاً للقيام بالدور أو المهمة التي يتطلبها المنصب الإداري.

وإذا ماتوجهنا بالنقد لأي تعيين أو اختيار يجب أن يكون هذا النقد بناءً ومبنياً على أسس علمية بحتة بعيدة تماماً عن العواطف والدوافع الشخصية.

ولو سألنا كل من يتبنى ويروج للقضية أعلاه، ماهو أساسكم العلمي في النقد والاعتراض مثلاً، لما وجدنا أي استجابة، وبالعكس نعرف تماماً بأن الإجابة هي بالسؤال المطروح نفسه، عن ماهو أساسنا العلمي نحن في التعيين والاختيار، وهنا تكمن القضية أو المشكلة تحديداً، إذ أنه لا أحد يسأل مسبقاً عن الأساس العلمي المطلوب ولا يبذل من أجله أي اهتمام لأجل معرفته، وينطلق يميناً ويساراً يروج لقضية لم يطلع على أساسها، كمن ينعق بما لايسمع، ولو أننا توجهنا إلى طرق ومعالجة جوانب القصور الحقيقية في حياتنا العملية، لكان خيراً لنا.

إن كل من يطمح إلى مزيد من الترقي والتطور في حياته العملية، ينبغي عليه أن يجهز نفسه علمياً وإدارياً، لاأن يحبذ السلوك الحالي الذي يصعب عليه هو أن يتقبل به، فإذا ماوجدت الكفاءات الإدارية الملائمة والمؤهلة والكافية، فبلاشك فإن الاختيار والتعيين سيكون على أساسها من منظور علمي بحت.

وأخيراً لابد لنا من القول إن مراحل ومستويات العلم والمعرفة أوسع وأكبر مما نتخيل أننا نستطيع أن نجمع القليل منها ونكتفي.

رأي بالكاريكاتير

alradhi 2 @hotmail.com